مشاهد الطيور على السجاد الفسيفسائي في كنيسة (بازيليكا) جستنيان البيزنطية بصبراتة

د. فردوس محمد التويجيري •

تاريخ الارسال: 2025/04/29 تاريخ القبول: 2025/06/05 تاريخ النشر: 2025/07/01

المستخلص:

أفرز تعاقب الحضارات المحلية والوافدة التي قامت في الأراضي الليبية قديما تنوعا تاريخيا وتراثاً إنسانياً، تميز بالغنى الفكري والفني والثقافي، فقد نشأت حضارات متعددة كالإغريقية والرومانية والبيزنطية تاركة إرثاً من نفائس ومعالم ورسوم وجداريات ولوحات متنوعة الألوان البعض منها لايزال محفوظاً تحت الرمال، بينما بعضها الاخر تجري عليه الدراسات والبحوث. وتعد ليبيا من أزخر المناطق في شمال ليبيا امتلاكا للأرضيات وجداريات الفسيفساء الرومانية حيث وجدت في العديد من المناطق.

لقد لعبت الفسيفساء دوراً هاماً في الحياة اليومية للرومان والبيزنطيين، ولما كانت فنون العصر البيزنطي قد نمت وتألقت في أحضان الكنيسة، وأصبحت تعبر عن عقيدتها الدينية وما فيها إلى النزوع نحو التصوف، فانصرف الفنان للتعبير الفني والجمالي، فباتت لوحات الفسيفساء التي كانت تستخدم لتغطية أرضيات الكنائس والقصور وسيلة للتعبير الفني، وغدت مشاهد الطيور والحيوانات والأزهار رمزاً للعقيدة المسيحية، يعد ذلك من إحدى وسائل التعبير الفنية المميزة للعصور القديمة، كما أن هذه اللوحات تجسد بعض مظاهر الحياة الاجتماعية وبعض نشاطات الحياة الإقتصادية والأفكار والمعتقدات الدينية، كما تُجسد مناظر ومشاهد طبيعية وأشكالاً هندسية ذات زخارف وموضوعات حياتية متنوعة.

إن السجاد الفسيفسائي في كنيسة جستنيان بصبراته لها خصوصية فنية فريدة من جانب الإبداع الزخرفي، وأن هذه التأثيرات لا تنقص من أصالة الفن المحلي، بل وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن كل هذه المشاهد والأشكال الفنية رومانية كانت أم بيزنطية أو مشرقية أو بربرية هي جزء من تاريخ المنطقة وجزء من التاريخ العالمي.

الكلمات المفتاحية: مشاهد الطيور، السجاد الفسيفسائي، كنيسة (بازيليكا)جستنيان.

Bird scenes on mosaic carpets in the Byzantine Basilica of Justinian in Sabratha

Dr. Fardous Mohammed Al-Tuwaijri

Abstract:

The interaction of local and imported civilizations that existed in ancient Libyan lands produced a historical diversity and a human heritage characterized by intellectual, artistic and cultural richness. Many civilizations emerged, such as the Greek, Roman and Byzantine, leaving behind a legacy of inscriptions, monuments, drawings, murals and paintings of various colors. Some of

• أستاذ مشارك -جامعة طرابلس -كلية الفنون والتصميم. F.Twijiri@uot.edu.ly

them are still preserved under the sand, while others are still under study. Libya is one of the most abundant regions in northern Libya in possessing Roman mosaic floors and murals, which have been found in many areas there.

Mosaics played an important role in the daily life of the Romans and Byzantines. As the arts of the Byzantine era grew and flourished in the bosom of the Church, and began to express its religious doctrine and its tendency towards mysticism, the artist turned to artistic and aesthetic expression.

Mosaic panels, which were used to cover the floors of churches and palaces, became a means of artistic expression, and scenes of birds, animals, and flowers became a symbol of the Christian faith. 2 This is considered one of the distinctive means of artistic expression of ancient times. These panels also embody some aspects of social life and some economic activities, religious ideas and beliefs, as well as natural scenes and geometric shapes with diverse decorations and life themes.

The mosaic carpets in the Justinian Church in Sabratha have a unique artistic character in terms of decorative creativity. These influences do not detract from the authenticity of local art. Rather, if this indicates anything, it indicates that all these scenes and artistic forms, whether Roman, Byzantine, Eastern, or Berber, are part of the history of the region and part of world history.

Keywords: Bird Scenes, Mosaic Carpet, Justinian Basilica.

المقدمة

تعد ليبيا من أهم المناطق الهامة على البحر المتوسط ، حيث استطاع الرومان كما أسلافهم الفينيقيين من أن يقيموا حضارة في منطقة شمال أفريقيا وبالأخص في غرب ليبيا طرابلس، ومن المدن التي استوطنها الرومان مدينة صبراته التي حظيت بفترة من الازدهار الإقتصادي والمعماري والفني خلال استقرار الرومان فيها، ومن أهم الفنون التي ازدهرت خلال هذا التواجد الروماني فن الفسيفساء، وقد نشأت الفسيفساء في حوض البحر المتوسط، وهي بصفتها تعبيراً فنياً جسدت عبقرية سكان هذا الحوض وإسهامهم في الفن العالمي، رُبما أكثر مما جسدته التعبيرات الفنية الأخرى. (عائشة،16،2019)

مما لا شك فيه أن هذا الفن يعود إلى ماض بعيد نسبياً، وكان في بداياته مجرد عملية تجميع لعناصر معدة لتكسيه مساحة مسطحة أو منحنية، حيث استخدمت لهذا مواد متنوعة لتشكيل هذه المساحات، أو اللوحات الجدارية والتي يمكن أن تحتوي على أشكال هندسية أو نباتية أو تصاوير آدمية أو حيوانية ومن أجل القيام بهذه اللوحات تم استخدام مواد مثل الحجارة والزجاج والصدف والسيراميك... وغيرها. (أسامة،14،2012)

خلال فترة الإمبراطورية الرومانية، أضحت الفسيفساء تتمتع بشعبية هائلة، فمعظم الفسيفساء القديمة التي بقيت إلى يومنا هذا ترجع إلى تلك الفترة، وظهر نوع السجاد الفسيفسائي الذي كان عادةً يُنفذ على أرضية المنازل الرومانية، والكنائس بمشاهده الطبيعية من نباتات وطيور، وقد شاع استخدامه خلال فترات الإمبراطورية الرومانية، والفترة الهلينستية والبيزنطية. في هذا البحث يُقدم موجزاً عن نوع من أنواع الفسيفساء

الأرضية التي عرفت باسم السجاد الفسيفسائي أو مشاهد الأزهار والنباتات والطيور المتنوعة والمتعددة، والتي كانت تمثل طبيعة منطقة صبراته، وقد تم توزيعها بشكل عشوائي ومنتظم في ذات الوقت بحيث غطت الأرضية بكامله كما سنستعرض رمزية هذه الطيور وقدسيتها عند المسيحيين.

مشكلة البحث واسباب الاختيار

يركز هذا البحث على دراسة السجاد الفسيفسائي الموجود بكنيسة جستنيان بصبراته والتي تسمى (بازيليكا)، حيث أن موضوع دراسة الفسيفساء موضوع شيق للغاية بمثابة ارث وشاهد ثمين على حقبة زمنية ماضية، إضافة إلى أنه يعد من أندر أنواع السجاد الفسيفسائي في ليبيا، وتجدر الإشارة إلى أن موضوع مشاهد الطيور وشجرة الكرم، تعدان من المواضيع المفضلة عند سكان شمال افريقيا قديماً، حيث تعتبر الصور والأشكال المرسومة معاني ظهرت في الفترة الرومانية والبيزنطية وكانت الوسيلة المفضلة والمثلي لتزيين الأرضيات بشكل عام.

تساؤلات البحث

- ما هي المشاهد المصورة على السجاد الفسيفسائي بكنيسة جستنيان بصبراته؟
- كيف يمكن وصف وتحليل وتفسير رموز مشاهد السجاد الفسيفسائي بكنيسة جستنيان بصبراته؟

أهداف البحث

- وصف المشاهد المصورة على السجاد الفسيفسائي بصبراتة بكنيسة جستنيان.
-تفسير الرموز الموجودة في المشاهد المصورة بفسيفساء كنيسة جستنيان بصبراته.

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في إلقاء الضوء على المشاهد المصورة على السجاد الفسيفسائي بكنيسة جستنيان بصبراتة، حيث لم تنل هذه الفسيفساء ما تستحقه من الدراسة، ولمساعدة الباحثين والمتخصصين في هذا المجال للحصول على معلومات أدق على هذا النوع من المشاهد من خلال وصف وتفسير الرموز الموجودة على السجاد الفسيفسائي.

منهج الدراسة المتبع سيكون المنهج الوصفي ذلك لوصف وتحليل المشاهد المصورة على السجاد الفسيفسائي بداخل الكنيسة.

الدراسات السابقة

-دراسة أنوار سعيد الخطري 2024، المشاهد المصورة على لوحات الفسيفساء الرومانية (صبراتة نموذجا)
-دراسة عزيزة أحمد حسن2018، الفسيفساء الليبية: مجال مكاني، إرث تاريخي، جذب سياحي.

نبذة تاريخية عن الفسيفساء

عرفت الفسيفساء في وقت مبكر في بلاد ما بعد النهرين القديم في معبد (أور) (أورك) والذي يعود إلى الألف الثالث ق.م، حيث كانت المناظر التي تزين بوابة عشتار في الدولة البابلية الجديدة من الأعمال الفسيفسائية الجدارية الاولى (أنور2006، 13)، ثم انتقلت صناعة الفسيفساء إلى مصر وبلاد الشام وبلاد فارس وإلى بلاد الإغريق.

أما المواضيع التي كانت تُمثل وتُصور في اللوحات الفسيفسائية فهي ذات المواضيع التي تطرح في أنواع الفنون الاخرى في ذلك الزمن من تصاوير الحيوانات الحقيقية والخرافية والقصص الأسطورية (أنوار2024، 7)، التي غطت الفسيفساء الأرض مع الرومان في الحمامات والملاعب والهياكل وصعدت إلى الجدران والعقود والسقوف في الكنائس البيزنطية أما رسوم الفسيفساء الرومانية كانت مواضيعها تدور بشكل عام حول الحياة الاجتماعية والدينية، بينما تناولت البيزنطية صور القديسين والرسل والعذراء والسيد المسيح.(عزت،2004، 301) وقد تأثر البيزنطيون في تكسية الأرضيات بالفسيفساء بالفن الساساني في الشرق.

التعريف بفن الفسيفساء

إن كلمة الفسيفساء هي كلمة عربية تعني المنمنمات، بينما أطلق عليها في اللغة الإنجليزية نسبة إلى الميوزس ربات الفنون والشعر التسعة. (إيمان،2015، 2) وبالرغم من أن كلمة MOSAICS الموزاييك فسيفساء تطلق عامة سواء على زخرفة الأرضيات بمكعبات ملونة حجرية أو مرمرية وتطلق أيضاً على زخارف الجدران المكونة من القطع الصغيرة الزجاجية أو العجائن الملونة أو بعض الأحجار الكريمة مثل اللؤلؤ. (عزت،2004، 389)

وهي أيضاً عبارة عن فن من فنون التصوير يعتمد في تعبيره على عناصر عديدة منها الصور الآدمية والحيوانية، الزخارف الهندسية والنباتية، أضافة إلى زخارف خطية (كتابية) (محل العين،2018، 13)، واستعملت الفسيفساء الحجرية الملونة وكذلك الرخامية على نطاق واسع حتى شاع هذا الفن بأنحاء الامبراطورية الرومانية منذ القرن الرابع ق.م، واستمر شيوع هذا النوع من الفن في العصور البيزنطية خاصة بمنطقة البحر المتوسط.

ونجد أن أغلب المواضيع المنفذة متكررة وشائعة في المنطقة، ويرجع ذلك لما تم تناقله بواسطة الفنانين والرسامين خلال تنقلهم من بلد إلى بلد، ناقلين معهم نفس الأفكاروطرق التنفيذ والأساليب الرمزية المتمثلة في الزخارف النباتية. بالإضافة إلى مشاهد من الأعمال والحرف كالصيد والزراعة، وتصور الزهور والطيور والحيوانات وغيرها من اللوحات التي وجدت في مناطق أخرى، كسوريا وتونس وليبيا والمغرب وغرب آسيا

وفلسطين ولبنان وسوريا، وكان هناك هدف آخر استخدمت من أجله هذه الفسيفساء ألا وهو إبهار المشاهد بهذا الجمال للتأثير على نفسية المسيحيين.

استخدامات الفسيفساء في العمارة الرومانية

شاع استخدام الفسيفساء جنباً إلى جنب مع فن العمارة الدينية أو عمارة المنازل، حيث كانت من ضمن مجال إعداد الأرضيات، كما انها كانت تجمع من حجارة صغيرة ومتنوعة ملونة مصقولة الوجه مع الرومان ولكن محدودة بألوان الرخام أو الحجر المتوفر كالأبيض الناصع والأسود والأسمر الداكن والرمادي المخضر ثم أصبحت خزفية وزجاجية إلى جانب الأولى مع البيزنطيين (عبد الرحيم، 1988، 300)

أنواع الفسيفساء الأرضية

مما لا شك فيه إن للفسيفساء المستخدمة في تركيب الأرضيات تختلف عن تلك التي تستخدم في تركيب اللوحات الحائطية، فقد تنوعت حسب نوع التقنية، ونذكر هنا أن لوحات الفسيفساء الأرضية تكون أحجام الأحجار ذات القطع الحجرية خشنة وكبيرة مقارنة بلوحات الفسيفساء الجدارية على حوائط وجدران المباني المختلفة. (أنور،2006، 26 :23)، ومن أنواع الفسيفساء المستخدمة للأرضيات ما يلي: -

النوع الأول: (أوبوستيسلاتوم)

ويستخدم في هذه التقنية مكعبات صغيرة الحجم تتراوح أبعادها بين(1سم-4سم)، وترتب في خطوط مستقيمة أو منحنية، ذلك تبعاً للتصميم أو المشاهد التي تجسدها اللوحة.

النوع الثاني: (أوبوسسكتيل)

في هذا النوع يتم استخدام مزيج من المربعات الفسيفسائية مندمجة مع مربعات كبيرة من الرخام والمرمر وقد استخدمت في تزيين الجدران والأرضيات.

النوع الثالث:(أوبوسفيرميكولاتوم)

يستخدم في هذا النوع مكعبات صغيرة جداً بمقاس 50ملم من الرخام بالإضافة إلى قطع أخرى مصنوعة من عجينة زجاجية. وهو متكون من قطع من الطباشير مضاف له بعض الحصى المجلوب من عند ضفاف الأنهار (أسامة،2012، 25). وكانت توضع تحت اللوحات طبقة سميكة سفلية كقاعدة لإسناد الطبقات العليا مكونة من الحجر والصخور ذات الحجم الكبير، ذلك لتثبيت الأرضية لتجنب الكسر أو الانخساف الذي قد تتعرض له تلك الأرضيات. إن لوجود الفسيفساء على الجدران أو الأرضيات أهمية في خلق جو ديني مهيب، ومن الأمثلة فسيفساء آيا صوفيا ودير دافني في اليونان، وكاتدرالية سان فيتالي في رافينا، حيث كانت هذه الأمثلة عن استخدام الفسيفساء في العمارة الدينية (الكنائس). (مصطفى،2009، 197)

تطور الفسيفساء عند الرومان

انتقلت الفسيفساء من مصر إلى بلاد الرومان بعد سيطرتهم على بلاد اليونان ومصر والبحر المتوسط، ونفذت العديد من المواضيع، وعرفت التقنيات الفسيفسائية تطوراً كبيراً في منطقة غرب البحر المتوسط خاصة بعد تدهور المناطق الشرقية بسبب الحروب الداخلية والاستعمار الروماني، وهذا أدى إلى هجرة الفنانين الفسيفسائيين الشرقيين من الاسكندرية والجزر الاغريقية إلى روما.

وينظر الى الفسيفساء الرومانية على أنها خير مثال على هذا النوع من الفن فقد طور الرومان التقنيات ليتم تركيب الفسيفساء على الجدران والأرضيات في منازل الطبقة الرفيعة والفيلات والمباني العامة، واستمر التزيين بالفسيفساء حتى بعد سقوط الامبراطورية الرومانية عبر استخدامها في الهندسة المسيحية والبيزنطية والفارسية والهندية. في الفترة الرومانية، كان هناك نمطان رئيسيان من فن الموزاييك، يطلق عليهما النمط الغربي والشرقي، كلاهما استخدم في أجزاء مختلفة من الإمبراطورية الرومانية.

بحيث كان النمط الغربي من فن الموزاييك أكثر هندسية، حيث يعمل على تمييز المناطق الوظيفية في المنزل أو الغرفة، وكان المفهوم الزخرفي هو التوحيد وهو نمط تم تطويره في غرفة واحدة أو عند العتبة سيتكرر في أجزاء أخرى من المنزل، بينما تتميز العديد من الجدران والأرضيات ذات الطراز الغربي بألوانها الباهتة والأسود والأبيض فكانت الفكرة للفسيفساء الشرقية أكثر تفصيلاً (A.J.O.A:262.83: 263)

السجاد الفسيفسائي

هو نوع من أنواع الفسيفساء الأرضية، بحيث تتم تكسية الأرضية بزخارف نباتية أو حيوانية أو الإثنين معاً، ويتم توزيع هذه الزخارف بشكل متصل حتى تغطى الفسيفساء المساحة الأرضية ويتم فيها تمثيل أزهار محورة عن الطبيعة بنماذج عدة، وقد تكون مرافقة لتصويرات حيوانية أو زخارف هندسية أو تشكل لوحدها أساس الحقل في اللوحات الفسيفسائية، هذا ويتم توزيعها إما بخطوط متوازية فيما بينها واما بشكل عشوائي على أن تملأ الأرضية كاملة (فاتن،2021، 155) طوال تلك القرون التي استخدم فيها الفسيفساء في الفن البيزنطي كانت الموضوعات المستخدمة فيه ذات طابع ديني بحث، لتحقيق عدة أهداف منها جعل تلك الكنائس لا تقل بهاءً ولا ثراءً عن المعابد الوثنية، ولتعميق التعاليم الدينية بالديانة المسيحية عن طريق وضع الصور المختلفة المأخوذة من التوراة أو من الإنجيل دون الحاجة إلى قراءتها.(قادوس،2004، 325).

فسيفساء كنيسة جستنيان بصبراته

تقع كنيسة جستنيان في صبراته حيث ترجع للقرن الخامس ميلادي، وقد تم العثور على الكنيسة بالقرب من البحر عام 1923، أثناء حفريات التنقيب حيث كانت أولى الحفريات فيها خلال فترة الحكم الإيطالي، أما أحدث أعمال التنقيب بصبراته تلك التي أجراها فريق بريطاني 1948 و 1951، بعد ذلك تم نقلها إلى المتحف

وتعرف الكنيسة باسم (بازيليكا جيستنيان)، وهي من الكنائس الهامة بمدينة صبراته.

وقد أشاد بعظمتها المؤرخ البيزنطي (بروكوبيوس)، وإن أبرز ما في هذه الكنيسة هي الفسيفساء التي كانت بالصحن داخل البازيليكا والتي تم نقلها من مكانها الاصلي إلى المتحف الكلاسيكي بصبراته. (عزيزة، 2018، 174) وتُعرف فسيفساء كنيسة جستنيان في صبراتة بجمالها وتعقيدها، ويجادل بعض العلماء بأن طبيعتها الزخرفية قد تحجب إمكانية وجود تفسيرات لاهوتية أعمق، مما يشير إلى الحاجة إلى مزيد من الاستكشاف لمعانيها الرمزية في سياق الفن البيزنطي المبكر.

يبلغ قياس السجاد الفسيفسائي بكنيسة جستنيان بصبراته 8,5×24م، ويبدأ السجاد الفسيفسائي بأشكال زخرفية من أوراق الكرمة عديدة ومتشابكة ومتصلة، عند بداية الأرضية كرمة عنب تخرج منها أغصان مورقة مائلة يتدلى منها عناقيد العنب. مما يظهر إلى أنها استخدمت كرمز للدلالة على خيرات الجنة وعلى الأغصان وبين أوراقها جسدت أشكالاً متنوعة من الطيور كالطاووس والعنقاء وعصافير جميلة للدلالة على جمال الجنة وروعتها ومبهجها. (أنور،2006، 152)

وقد لعبت الألوان المستخدمة في مشاهد السجاد الفسيفسائي بكنيسة جستنيان بصبراته، دوراً بارزاً في إضفاء الجمال والقيمة على العمل من خلال تدرج الألوان، التي تعطي عمقاً في المنظور في كل المشاهد المنفذة ومن حيث التقنية المستخدمة كما أن حجم الطيور كانت موفقة في طريقة تنفيذها.

المشاهد المصورة في سجاد الفسيفسائي بكنيسة جستنيان

من أهم المشاهد الأرضية للسجاد الفسيفسائي بالكنيسة موضوعات تصوير الطبيعة والطيور، وهذا يُعد من أهم الموضوعات التي اهتم الرومان بتصويرها، اذ يعتبر تصوير الطبيعة وما فيها من نباتات وأشجار لها رمزية خاصة عند البيزنطيين على سبيل المثال لا الحصر شجر العنب بأوراقها الكبيرة وغيرها من النباتات.

ويلاحظ أن الفسيفساء التي كانت بالصحن تمثل رسماً رمزياً يبدأ من أول صحن الكنيسة وهو عبارة عن كرمة ذات فروع متشابكة تحمل العنب، ويوجد بينها عدد كبير من الطيور من بينها الفينيكس، وهو طائر يرمز للخلود، وبالإضافة إلى ذلك نرى عدداً من الطواويس وسمانة داخل قفص. (محمد،1978، 7)

إن مشاهد الطيور لعبت دوراً هاماً في الزخرفة القديمة حيث للطائر قيمة رمزية متعلقة بالمعتقدات القديمة التي ترى في السماء مسكن الآلهة، فقد احتوت هذه المشاهد على عدد من الطيور متنوعة الاشكال والألوان والأنواع. ومن بين اهمها رسوم طاووس بحجم كبير في وسط السجاد، حيث كان يعد ذلك من المواضيع المحببة لدى البيزنطيين بصفة خاصة، مع العديد من أنواع الطيور الأخرى كالصقر والنسر والحمام وغيره. ومن المشاهد المصورة ما يلي :-

-وصف مشاهد عناقيد وأوراق العنب

يتوسط السجاد الفسيفسائي في الكنيسة نباتات وأشجار كشجر العنب بأوراقها الكبيرة والمتشابكة تحمل العنب ويرمز هذا إلى الخلود وتعتبر أوراق وعناقيد العنب من أهم الوحدات الزخرفية التي استخدمت في الفن المسيحي الشرقي. وتعد لفائف العنب عنصر زخرفي مهم منذ القدم، وإن كان استخدامه في الفن المسيحي جاء كرمز ديني كما استخدمت أيضا بعد ذلك في الفن الإسلامي، نظراً لورودها في القرآن الكريم.

بالإضافة لذلك فانها عنصر زخرفي بحت دونت رمزيتها المسيحية. (أمل، 2002، 89)، حيث ترمز الكرمة عند المسيحيين إلى السيد المسيح، ولما للعنب من دلالات عنه. كما هي بصورة رقم(1) العناقيد مرسومة بشكل رائع وواضح بألوان مشعة كالأزرق والأخضر مع تدرج وتمازج هذه الألوان.

صورة رقم (1) عنقود عنب واوراق الكرمة مع طائر

-وصف مشاهد النباتات والازهار

نلاحظ تصوير النباتات مثل أكاليل الغار والزهور والأشجار والتي ترمز إلى الجنة والانتصار على الموت، إن مشاهد الشجيرات المحملة بالثمار والزهور وما يرافقها من طيور وحيوانات، تبقى الحامل الأكثر تنوعاً زخرفياً خاصة في كنيسة جستنيان، حيث نجد كل الأشكال النباتية، والهندسية والحيوانية، تميزت بإظهار السيد المسيح ورجال الدين بصورة رمزية في الفسيفساء في بعض المشاهد. كانت ساق النباتات طويلة.

وفي بعض المشاهد تكاد تكون قصيرة جدا وتظهر الأزهار مكررة ومحورة لها رأس مثلث الشكل باللون الأخضر، ونلاحظ هذا التحوير عن الطبيعة بشكل واضح أما الألوان كانت زاهية وأوراق وسيقان النباتات

كانت بالألوان البني والأخضر والأزرق بتدرجاتهم، أما تحوير النباتات فقد كانت متناسبة مع حجم كل وحدة من الوحدات الزخرفية النباتية، ذلك لتعاليم دينية مع استخدام الألوان لإبراز العمق والبعد الثالث في المشاهد المصورة مع الاهتمام بالتوازن والتماثل في رسم المشاهد والصور.

وصف مشاهد الطاووس-

تجدر الإشارة إلى أن الطاووس كان من أكثر الطيور انتشاراً في رسوم الفن المسيحي، وكان يُعتبر رمزًا منبثق من الاساطير التي تقول أن لحم الطاووس لا يفسد بعد موته، رفعت هذه الميزة نادرة الحدوث هذا الطائر إلى مكانة مرموقة جعلت منه رمزاً عظيماً لفكرة الخلود من ناحية، وكمثل رائع لشخص السيد المسيح الذي لم يكن للقبر أي تأثير على جسده فبقى حياً إلى الأبد. (نشوى،2012،645).

من الملاحظ شيوع رسم طائر الطاووس عند الاقباط والرومان والبيزنطيين، ذلك أنه يفقد ريشه ويستعيده خلال فصل الربيع، وعودة ريشه تعني التجدد واستمرار الحياة لذلك، يُعتبر رمزًا للتجدد. ووفقًا للأساطير لا يفسد لحم الطاووس بعد موته، إذ يشرب من الماء الحي رمزًا للروح. (Green Ashleigh،2023،119)، كما زيّن ذيل الطاووس بعيونٌ تُشبه نجوم السماء، مثل قوس السماء المُرصّع بالنجوم، والذي يُمثّل غالبًا الخلود. ويظهر الطاووس أحيانًا إلى جانب الحمام والكروم والعنب ولذلك يُرتبط بالإله ديونيسوس.

حيث يرمز ظهور الطاووس على العملات المعدنية إلى جانب الأباطرة الرومان وشركائهم إلى الاستقرار والسلام والحالة العامة للإمبراطورية. ومن الملاحظ على السجاد الفسيفسائي بكنيسة جستنيان وجد عدد من الطواويس أحدهما فاتحاً جناحيه، كما هو بالصورة رقم (2) صانعاً دائرة عند نشره جناحيه لها علاقة وثيقة الصلة بقوس قزح في السماء.

صورة (2) لطاووس من كنيسة جستنيان من تصوير الباحثة

هذا في حين كان الآخر يمشي غالقاً جناحيه وفي وضعية الحركة كما هو بالصورة رقم (3). وبشكل عام فان ذيل الطاووس الذي يشبه المروحة يرمز للفخر والزهو. ويظهر بالذيل أشكال شبيهة بالعيون ورمزية، وهذا تعود إلى المعرفة الإلهية التي تحيط بكل ظواهر الأمور وبواطنها، وإلى معرفة الرعاة أو الكنيسة برعيتها وأبنائها، ولما كان من عادة الطاووس المشي واستعراض ريشه الجميل فهو يستخدم كوسيلة باهرة للتعبير عن الزينة وكذلك لإدخال البهجة للنفوس.

صورة (3) **لطاووس وسط الكرمة** من تصوير الباحثة

-وصف مشاهد الطيور

صورت مشاهد الطيور في الحضارات القديمة بشكل كبير حيث تعد كرمز للنفوس الطاهرة، وقد وجدت الطيور في أرضية الكنيسة على شكلين طيور منفردة، وطيور متقابلة، ما المنفردة كانت معبراً عنها بالطائر المحلق، لذا استخدمت صور العصافير والطيور بأنواعها، رمزاً للروح ذات الأجنحة عن الروحيات التي هي ضد الماديات.(نشوى،2012،653) أما الطائر المسجون في قفص وهو طائر السمانة كما توضحه الصورة رقم(4)، فهو يرمز إلى الروح البشرية المحتجزة داخل الجسد، وبالتالي فإن الطائر المنطلق من القفص يرمز إلى الروح التي تحررت بالموت، وحُرِّرت من خلال القفص المفتوح.

صورة(4) طائر السمانة داخل القفص من كنيسة جستنيان

يظهر الطائر المسجون في القفص باللونين الأخضر والبني بتدرجاتهما. لكل طائر معنى رمزي، ويُعتبر مقدسًا فالحجل رمزٌ للشجاعة والجرأة والذكاء والإلهام والنبل، وطائر الدجاجة رمزٌ للعفة والإخلاص والوفاء. وصورة رقم(5) توضح ذلك (235-254: 2024 ، Maha)

صورة (5) دجاجة من كنيسة جستنيان

وتُعد من أشهر أنواع الطيور استخداما في الرسوم المسيحية الحمامة، حيث اعتبرت إحدى الرموز الشائعة في العقيدة المسيحية منذ بدايتها، إذ تحمل معان رمزية متعددة حيث ترمز لحضرة الروح القدس، وقد وجدت في أيقونات وصور بشارة السيدة العذراء في بعض اللوحات وهذا يعني رمزية الحمام لفضائل المؤمنين كعطايا الروح القدس خاصة السلام والوداعة والنقاوة.(نشوى،2012، 635) ، أيضاً من ضمن الطيور الموجودة

على السجاد طائر الديك والذي يرمز إلى اليقظة والقيامة وإعلان يوم جديد، وجد بألوان متناسقة ومبهجة وزاهية كما وجد رسوم للدجاجة والبط والوز والتي ترمز كلا منهما إلى الطيبة عند المسيحيين.

أيضاً من ضمن مشاهد الطيور المتعددة طائر البجع والذي يرمز إلى تضحية المسيح ورعايته لأتباعه، بالإضافة إلى مشهد لصقر كبير وهو ما يرمز إلى اليقظة والتركيز والبصيرة الروحية. أما مشهد النسر فهو يرمز الى إله الآلهة هيرا. (جاما،2018، 97) ومن ضمن مشاهد الطيور على السجاد الفسيفسائي طائر النسر والذي يرمز إلى صعود وبعث السيد المسيح. لأن النسر له المقدرة أن يرتفع حتى لا يمكن رؤيته كما أنه يجدد ريشه. (جاما،2018، 98)

من ضمن مشاهد الطيور على أرضية كنيسة جستنيان بصبراته مشهد لطائر اليمامة، حيث تعتبر اليمامة من بين الحيوانات المقدسة، نظراً لما كانت تعبر عنه من طيبة وخلاص وسلم، حيث تعد من بين الطيور المبعوثة من طرف الآلهة، كما توصف بأنها رمز البشرية (جاما، 2018، 99)، وقد أصبح هذا الحيوان له معنى رمزياً ودينياً واضحاً منذ القرن الثاني للميلاد، فهي ترمز إلى السلام الذي كان يطلب للموتى من طرف الأتقياء، كما يوجد من ضمن الطيور طائر الفينيكس والذي يرمز للخلود (جاما، 2018، 101).وصورة رقم(6) توضح ذلك.

صورة(6) لطائر اليمامة بسجاد كنيسة جستنيان

ومن مشاهد الطيور أيضاً طائر الكركي، والذي يرمز إلى الدقة القاتلة، والنصر عند المسيحيين، وصورة رقم (7) توضح ذلك، بالإضافة إلى عدد من الطيور المحلية الموجودة في الطبيعة كطائر الهدهد، والحجل، والعوسق، والشاهين والحبارى، والوروار، والقبيرة، والزرزور والقنبرة، بالإضافة إلى عدد من الطيور التي

يصعب التعرف عليها؛ قد يكون السبب اختفاء هذه الأنواع من المنطقة خلال هذا الوقت، وكل هذه المشاهد لأنواع متعددة من الطيور مرسومة بالحجر الصغير والملون بالألوان الزاهية كاللون البني بتدرجاته واللون الأخضر بتدرجاته. كما توضح الصورة رقم(8) منظر يجمع لكل الطيور بالسجاد الفسيفسائي

صورة رقم (4) لطائر الكركي من داخل كنيسة جستنيان من تصوير الباحثة

صورة (8) منظر كامل للسجاد الفسيفسائي لكنيسة جستنيان بصبراته من تصوير الباحثة

ومن خلال ما تم عرضه ووصفه فإن السجاد الفسيفسائي بكنيسة جستنيان بصبراته، تعد من أجمل وأدق السجاد الفسيفسائي في ليبيا وهو أحد أهم الفنون القديمة التي يهتم بها خبراء الآثار والفنانين بدراستها وتحليلها، وتعد رمزاً من الرموز التي سجلت لنا ما كان يدور بخاطر الفنان في الفترة البيزنطية.

كذلك اظهرت عناية الرومان بهذا الفن حيث أوضح تأثير الطبيعة بأشكالها البديعة، وباختلاف أنواعها على الفسيفساء فما كانت تجود به الطبيعة بنباتاتها وحيواناتها وطيورها الداجنة المتعددة الألوان والأنواع، كل ذلك من المشاهد تعبر عن أوجه الحياة الإقتصادية والاجتماعية التي كان يعيشها الرومان في ليبيا. استخدمت الطيور عادة لتزيين وإعطاء نوع من البهجة لصور الطبيعة، وأصبحت هذه الطيور ترسم على أرضيات الكنائس والقصور، كما امتازت المشاهد المصورة على السجاد الفسيفسائي بكنيسة جستنيان بصبراته بتحوير الأوراق كورق العنب وغيرها، دون أن يفقد الشكل مميزاته الطبيعية كالشكل أو اللون.

من الواضح ان الفنان البيزنطي اهتم باستخدام الطيور واعتبره من المشاهد الرئيسية لمواضيعه، ذلك للرمزية الخاصة التي كان يحملها كل نوع من أنواع الطيور عند المسيحيين، وقد تم توظيفها بشكل متوازن وجميل، بحيث كانت الطيور متصلة معاً مما يؤكد أهميتها في التوظيف.

إن خصوصية الفن المسيحي في شمال إفريقيا عامة قد أعطت لنا أشكالاً فنية متطورة، ذلك لعلاقتها واحتكاكها بمراكز الحضارة على ضفاف البحر المتوسط، كما أن الأثر الروماني البيزنطي واضحاً، إضافة إلى أن مدينة صبراته كانت من المدن ذات الأهمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والتي لعبت هذا الدور بكل وضوح من خلال العمارة والزخرفة والفسيفساء التي غطت حمامات وبيوت وكنائس في المدينة صبراته، كما لا ننسى الظروف الطبيعية، أي وفرة المواد الأولية كمحاجر الحجارة المناسبة وتوفر اليد العاملة، ذلك لوجود المحجر المكتشف بجنوب المدينة، والذي تم نقل الحجارة المتوفرة فيه مما سهل على الفنين قص الحجارة ذات الألوان المتنوعة.

أما أهم التوصيات التي يمكن أن يوصي بها في هذا البحث هي: -

1-إن هذا النوع من الفسيفساء لا يزال الكثير منها لم يدرس لذا وجب الاهتمام به ودراسته لمعرفة أنواعه وتقنيات تنفيذه.

2-مشاهد الطيور المصورة على الكنيسة يمكن أن تكون محل دراسة للباحثين في مجالات عديدة من حيث تواجد هذه الأنواع من الطيور بالمنطقة.

3-إن دراسة تنفيذ وتصميم مشاهد النباتات والأزهار والطيور الموجودة على السجاد الفسيفسائي، قد يفتح مجالات عديدة أمام الخبراء والفنانين من إجراء المزيد من الدراسات حول طرق تنفيذ هذا النوع من التصميمات.

قائمة المراجع

المراجع العربية

1–أسامة حمدان(2012) دليل فن الفسيفساء.–القدس: طباعة ستوديو الفا الرام .

2–أمل مختار علي الشهاوي(2002) بعض مظاهر التأثيرات البيزنطية على الفنون الإسلامية في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار–القاهرة– (رسالة ماجستير) .

3– أنور أبوزعينين(2006) فن الفسيفساء في ليبيا، دراسة تحليلية للوحات الفسيفساء الليبية.–بنغازي: دار الكتب الوطنية.

4– أنوار سعيد الخطري (2024) المشاهد المصورة على لوحات الفسيفساء الرومانية(صبراتة نموذجا) ، ،كلية الفنون، جامعة طرابلس –ليبيا–(رسالة ماجستير غير منشورة).

5––إيمان محسن شهاوي(2015) فن الفسيفساء في العصرين اليوناني والروماني، ورشة عمل على الموزاييك القبطي في الفترة من 15إلى26 نوفمبر. – الإسكندرية.

6– جاما كاتيا(2018) الزخرفة المسيحية على المعالم الآثارية في مقاطعة نوميديا، معهد الآثار، جامعة الجزائر2 –الجزائر–(رسالة دكتوراة غير منشورة).

7– عائشة بن عابد(2019) قراءات في الحفاظ على الفسيفساء، المركز الدولي لدراسة صون الممتلكات الثقافية وترميمها.– د–م : إيكروم .

8– عبد الرحيم غالب (1988) موسوعة العمارة الإسلامية.– ط1 ،جورج بروس .–بيروت.

9– عزت زكي قادوس(2004) مدخل إلى الآثار اليونانية والرومانية.– الإسكندرية : دار الكتب.

10– عزيزة أحمد حسن(2018) الفسيفساء الليبية مجال مكاني، إرث تاريخي، جذب سياحي .– مجلة جامعة صبراتة العلمية ، ع 4.

11–فاتن حوراني(2021) الفسيفساء ذي الزخارف المزهرة في سورية خلال العصر البيزنطي .– مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، مج37، ع4.

12 –قادوس محمد عبد الفتاح السيد(2004) الآثار القبطية والبيزنطية.– الإسكندرية: دار البستان للنشر والتوزيع.

13– محمد علي عيسى(1978) مدينة صبراته منذ الاستيطان الفينيقي حتى الوقت الحاضر.– طرابلس : مصلحة الآثار، الادارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوظات التاريخية.

14– محل العين بثين (2018) الفسيفساء الميثولوجيه المعروضة بمتحف سيرتا، ، جامعة قالمة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، علم الآثار، (رسالة ماجستير).

15– نشوى نعيم صادق(2012) الدلالات والمعاني المرتبطة باستخدام الرمز واستعارة الشكل الخيالي في الفن القبطي .– مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، ع25.

16 –مصطفى علي نامو(2009) دراسة أثرية لفسيفساء بعض الدارات في منطقة المدن الثلاث، منشورات كلية الآداب والعلوم جامعة المرقب –الخمس.(رسالة ماجستير منشورة)

المراجع الأجنبية

17–Green Ashleigh, (2023) Birds in Roman life and Myth, London: Rout ledge.

18– Maha Gamal Eldin Mohamed Elantably، (2024) An Analytical Study of the Roman Mosaic in the Pisidian Antioch Theater, Bulletin of the Center of Papyrological Studies (BCPS) Faculty of Archaeology, Ain Shams University, Egypt, Vol. 41

19– American Journal of Archaeology: 253:263(3)